📖لباب التأويل في معاني التنزيل

جولة في رحاب "تفسير الخازن🌟 "

يعتبر علم التفسير بحراً لا ساحل له، تبارى فيه العلماء لاستخراج درر القرآن الكريم وكنوزه. ومن بين تلك المصنفات التي حظيت بقبول واسع وانتشار كبير بين أهل العلم والعامة، يبرز كتاب **"لباب التأويل في معاني التنزيل"**، المعروف اختصاراً بـ **"تفسير الخازن."**

في هذه المقالة، نغوص في أعماق هذا السفر الجليل، لنستكشف منهجه، ومميزاته، وقيمة ما قدمه للمكتبة الإسلامية.

👳🏿أولاً: من هو الخازن؟

قبل الحديث عن الكتاب، لا بد من التعرف على صاحبه:
هو الإمام **علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي**، المعروف بـ **"الخازن."**
🔷**لقبه** :سُمي بالخازن لأنه كان قيماً (خازناً) للكتب في المدرسة السميساطية بدمشق.
🔷**وفاته** :توفي رحمة الله عليه سنة 741هـ.
🔷**شخصيته** :كان عالماً زاهداً، صوفياً متعبداً، محباً للعلم، هادئ الطبع، وقد انعكست شخصيته الهادئة والروحانية على أسلوب تفسيره.

📚ثانياً: التعريف بالكتاب وعلاقته بتفسير البغوي

يعتبر تفسير الخازن في أصله **تهذيباً واختصاراً** لتفسير الإمام البغوي المسمى *"معالم التنزيل ."*ولكن، هل كان مجرد اختصار؟

لا، لقد قام الخازن بعملية تحريرية ذكية:

١. **حذف الأسانيد :**قام بحذف أسانيد الأحاديث الطويلة التي كان يذكرها البغوي، وذلك لتخفيف الكتاب وتسهيله على القارئ، مكتفياً بنسبة الحديث إلى مخرجه (مثل البخاري أو مسلم).
٢. **الإضافة والتنقيح :**لم يكتفِ بالحذف، بل أضاف فوائد تاريخية، وقصصاً للأنبياء (قصص القرآن)، ومواعظ رقّقت القلوب، مما جعل الكتاب يخرج في حلة جديدة مستقلة.

💡ثالثاً: منهج الخازن في تفسيره

يتميز "لباب التأويل" بعدة خصائص منهجية جعلته قبلة للقراء:

.1الاهتمام بالتفسير بالمأثور 📜

يعتمد الخازن بشكل أساسي على تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة النبوية، ثم بأقوال الصحابة والتابعين. وهو لا يميل كثيراً للخوض في الجدليات العقلية أو الفلسفية.

.2القصص القرآني والتاريخي 🏰

يُعد هذا التفسير "كنزاً" لمحبي القصص. توسع الخازن بشكل ملحوظ في سرد قصص الأنبياء والأمم السابقة عند ورود الآيات المتعلقة بها، مما يمنح القارئ سياقاً تاريخياً ممتعاً للأحداث.

.3الوعظ والرقائق ❤️

بصفته رجلاً صوفياً زاهداً، ضمن الخازن تفسيره الكثير من المواعظ التي تخاطب القلب، والحكم التي تهدف إلى تزكية النفس، مما يجعل قراءة التفسير تجربة روحية وليست مجرد عملية معرفية.

.4الفقه المبسط ⚖️

يتعرض للأحكام الفقهية عند آيات الأحكام، ولكنه لا يغرق في الخلافات المذهبية المعقدة، بل يذكر الأقوال بإيجاز، غالباً وفق المذهب الشافعي (مذهبه ومذهب البغوي).

⭐رابعاً: مميزات جعلته "لباباً" للتأويل

✅**سهولة العبارة :**أسلوبه سلس جداً، يفهمه العالم والمتعلم وعامة الناس، بعيداً عن التعقيد اللفظي.
✅**حسن الترتيب :**يعرض الآيات ثم يشرع في تفسيرها بوضوح، مع ربط أجزاء الكلام ببعضها.
✅**مرجع للقصص :**يعتبر مرجعاً مهماً لمن أراد التوسع في معرفة تفاصيل القصص القرآني وأخبار الأولين.

⚠️خامساً: ملاحظات نقدية (لابد منها)

لتحقيق الأمانة العلمية، وجه العلماء بعض الملحوظات على هذا التفسير، أهمها:

- **الإسرائيليات :**بسبب شغفه بالقصص، أورد الخازن عدداً غير قليل من الروايات الإسرائيلية (أخبار أهل الكتاب) دون تمحيص دقيق لبعضها، مما يستوجب الحذر عند قراءة التفاصيل الدقيقة للقصص التي لم تثبت في السنة الصحيحة.
- **الأحاديث الضعيفة :**نتيجة لحذفه الأسانيد طلباً للاختصار، قد يجد القارئ بعض الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة (خاصة في فضائل السور) التي تسللت للكتاب، وإن كان قد عزا الأحاديث لمصادرها، إلا أن غياب السند يصعّب الحكم على الحديث لغير المتخصص.

🎯الخاتمة: لمن يُنصح بهذا الكتاب؟

كتاب **"تفسير الخازن "**هو بستان وارف الظلال، يجمع بين التفسير، والتاريخ، والموعظة.

👈ننصح به:

- للقارئ الذي يبحث عن تفسير متوسط الحجم (ليس طويلاً مملاً ولا قصيراً مخلاً).

- للخطباء والوعاظ الذين يبحثون عن قصص ومعاني رقيقة تؤثر في الناس.
- لمحبّي الاطلاع على السياق التاريخي للآيات.

إنه بحق **"لباب التأويل"**، كتاب يجمع شتات المعاني في عبارات سهلة ومباني جميلة، رحم الله الإمام الخازن وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

✍️ **تمت الكتابة بقلم معرفي محب للتراث الإسلامي.**

📘أسرار وخبايا "تفسير الخازن": دراسة تحليلية موسعة 🔍

لم يكن كتاب **"لباب التأويل في معاني التنزيل "**مجرد كتاب عابر في تاريخ المكتبة الإسلامية، بل كان جسراً ربط بين التفسير بالمأثور (النقل) وبين القصص التاريخي والوعظي. فيما يلي تفصيل دقيق لجوانب لم نذكرها في المقدمة السابقة.

---

1. 🏛️البيئة العلمية وتأثير المكتبة

الإمام الخازن لم يكن مجرد عالم، بل كان **"خازناً للكتب "**في المدرسة السميساطية بدمشق. هذه الوظيفة أتاحت له:

- الاطلاع على مخطوطات نادرة ومصادر متنوعة لم تتوفر لغيره.
- القدرة على المقارنة بين المرويات.
- تكوين عقلية موسوعية، حيث جمع بين التفسير، والحديث، والتاريخ (وله كتاب في التاريخ وعلم الأنساب).

---

2. 🔬تفاصيل دقيقة حول علاقته بـ "البغوي"

ذكرنا أنه اختصر تفسير البغوي، ولكن **كيف تم ذلك؟**

- **التعامل مع الأسانيد :**البغوي (المحدث) كان يسوق الحديث بسنده الكامل (مثلاً: حدثنا فلان عن فلان عن أبي هريرة..). الخازن رأى أن هذا

يطيل الكتاب ويصيب القارئ غير المتخصص بالملل، فقام بحذف السند والاكتفاء بالمتن (نص الحديث) مع ذكر المخرج (رواه البخاري، رواه الترمذي...).

- **الاستدراك** :لم يكن الخازن مجرد ناسخ؛ بل كان يستدرك على البغوي في بعض المواضع بتوضيح غريب اللغة، أو إضافة تفصيلات فقهية على المذهب الشافعي كانت غائبة في الأصل.

---

3. 🧠 المنهجية العلمية في "لباب التأويل"

أ. موقفه من الإلهيات (العقيدة)☁️

سلك الخازن مسلك أهل السنة والجماعة (على طريقة الأشاعرة السائدة في عصره) في تفسير آيات الصفات.

- في الغالب يمرر آيات الصفات كما جاءت (التفويض) مع التنزيه.
- أحياناً يلجأ للتأويل إذا دعت الضرورة اللغوية، مبتعداً عن تعقيدات علم الكلام والفلسفة التي نجدها عند الرازي مثلاً.

ب. موقفه من الفقه (آيات الأحكام)⚖️

الخازن كان **شافعي المذهب**، ويظهر ذلك جلياً في تفسيره:

- عند آيات الأحكام، يقرر مذهب الشافعي وينتصر له.
- يذكر مذاهب العلماء الآخرين (أبي حنيفة، مالك) بأدب واختصار، دون تعصب ممقوت، لكنه لا يستقصي كل الخلافات حتى لا يخرج الكتاب عن كونه تفسيراً.

ج. الإسرائيليات (النقطة الجدلية)🕎

هذه النقطة هي الأكثر حساسية في تفسير الخازن.

- توسع الخازن جداً في النقل عن **كعب الأحبار** و**وهب بن منبه**.

- **لماذا؟** لأنه أراد إشباع فضول القارئ حول تفاصيل القصص التي أبهمها القرآن (مثلاً: ما هو اسم طير عيسى؟ ما هو نوع شجرة آدم؟ تفاصيل قصة يوسف).
- **تحذير** :العلماء ينبهون دائماً أن هذه التفاصيل لا يُبنى عليها حكم شرعي ولا عقيدة، وغالبيتها لا سند صحيح لها، وإنما ذكرها الخازن من باب "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" وللتشويق القصصي.

---

4. 📚 مصادر الخازن في كتابه

بالإضافة إلى اعتماده الكلي على البغوي، استقى مادته من:

١. **كتب الحديث الستة** :(البخاري، مسلم، أبو داود، الترمذي، النسائي، ابن ماجه) وموطأ مالك.
٢. **كتب التاريخ والسير** :خاصة كتاب "العرائس" للثعلبي، وهو مصدره الأساسي في القصص الغرائبية.
٣. **كتب اللغة** :لتفسير غريب المفردات القرآنية، لكن بأسلوب مبسط غير نحوي معقد.

---

5. 💎 مزايا فنية في أسلوب الخازن

ما الذي يجعل القارئ يفضل "الخازن" على غيره؟

- **تفسير فضائل السور** :يحرص الخازن في بداية كل سورة أو نهايتها على ذكر الأحاديث الواردة في فضلها (وهنا يؤخذ عليه أحياناً ذكر أحاديث ضعيفة في الفضائل).
- **التناسب** :يهتم بذكر المناسبة بين الآية والتي قبلها، مما يجعل القرآن يبدو كوحدة موضوعية متماسكة.
- **الإشارات الصوفية المعتدلة** :يورد أحياناً "إشارات" لتهذيب النفس (التفسير الإشاري) دون شطحات، مما يضفي لمسة إيمانية دافئة.

---

6. 📜 الطبعات والانتشار

- **النسخ القديمة:** طُبع الكتاب قديماً مراراً، وكان في كثير من الأحيان يُطبع **على هامش تفسير البغوي** (وهذا دليل على التلازم الوثيق بين الكتابين).
- **النسخ الحديثة:** توجد طبعات محققة حديثاً (مثل طبعة دار الكتب العلمية وغيرها)، حيث قام المحققون بتخريج الأحاديث وبيان الصحيح من الضعيف، مما جعل الاستفادة من الكتاب أكثر أماناً لطلاب العلم.

⚖️ الخلاصة: الميزان العلمي للكتاب

⚠️ نقاط تحتاج لانتباه	✅ نقاط القوة
كثرة الإسرائيليات والقصص غير الثابتة.	أسلوب أدبي سلس وممتع للقراءة.
إيراد بعض الأحاديث الموضوعة في فضائل السور.	جمع بين التفسير والحديث والفقه.
عدم التحقيق العميق في المسائل الخلافية.	اختصار مفيد لـ "معالم التنزيل" للبغوي.

الخازن قدم للمكتبة الإسلامية "تفسيراً شعبياً" بمفهوم إيجابي؛ أي تفسيراً يُقرب معاني القرآن للعامة والمثقفين غير المتخصصين، مغلّفاً بغلاف من القصص والمواعظ التي ترقق القلوب.
